مستبعدا من دون اندلاع الحرب العالمية ، مثلما كان مستبعدا اندفاع التيار الثوري الاممي داخل الحركة الاشتراكية ـ الديمقراطية للانشقاق نهائيا عن هذه الحركة وتشكيل الحركة الشيوعية من دون انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ٠

ضمن هذا الاطار التاريخي العالمي علينا ان نضع العملية التاريخية التي عرفتها فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، والتي نتج عنها ولادة الحركة الشيوعية ليسهل علينا التعرف على حيثيات ومراحل هذه العملية ، وعلى الظروف الخاصة التي جرت في اطارها ٠٠٠ ولكن ما هو اسلوب البحث الذي سنتبعه للوصول الى ذلك ؟ ٠٠٠

في الحقيقة هناك عدة افتراضات يمكن الانطلاق منها والسعي لاثبات صحتها ٠٠٠ بامكان الباحث الانطلاق مثلا من الرأي القائل بان الحركة الشيوعية في فلسطين قد تشكلت في أوائل العشرينات بعد أن أرسلت قيادة الاممية الشيوعية ببعض مبعوثيها الى هذا البلد لتأسيس حزب بلشفي (٣) ٠٠ اننا من جهتنا نعارض هذا الرأي ليس فقط لانه ينطلق من دوافع مغرضة ، وانما اساسا لانه ينظر للعملية التاريخية نظرة مثالية وكأنها نتاج نشاط خارق قام به بعض موفدي موسكو ٠ وانطلاقا من هنا فاننا نرفض النهج الذي ينتهجه بعض الباحثين الذين يدرسون بدايات تشكل النواة الشيوعية الاولى في فلسطين في العام ١٩١٩ ، دون ان يروا الضرورة لدراسة الجذور التاريخية لهذه النواة ، والارضية التاريخية التي قامت عليها ٠

من المعروف بأن النواة الاولى للحركة الشيوعية في فلسطين قد ظهرت بين أوساط المهاجرين من العمال اليهود ، ولذلك فمن الضروري لدراسة الجذور التاريخية لهذه النواة الرجوع الى تاريخ نشوء وتطور الحركة العمالية اليهودية في فلسطين ٠ وهكذا بامكاننا تحديد الافتراض الذي سننطلق منه على الوجه التالي: تشكلت النواة الشيوعية الاولى في فلسطين كنتاج لعملية تمايز سياسي وايديولوجي حصلت داخل الحركة العمالية اليهودية وحسمت في ظروف تاريخية ملائمة عالميا ومحليا ٠٠

اولا : نشوء وتطور الحركة العمالية اليهودية في فلسطين :

ترافق ظهور المنظمات العمالية اليهودية في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر مع تصاعد حركة الاستيطان الصهيوني ٠ فمنذ العام ١٨٨٧ تشكلت جمعية عمالية لقيادة تحرك عمال مستوطنة « ريشون تسيون » ضد ادارة البارون روتشيلد عرفت تحت اسم « منظمة العمال » ٠ وفي العام ١٨٩١ ظهرت منظمة عمالية يهودية جديدة تحت اسم « الوطن والعمل » ٠ وبعد عدة سنوات من ذلك ، اقام العمال الزراعيون اليهود منظمتهم النقابية الاولى في العام ١٨٩٩ ٠ وفي تلك الفترة كان عدد العائلات العمالية اليهودية يقدر بحوالي (٥٣٢) عائلة (٤) ٠

ولكن ، وبما أن جميع هذه المنظمات العمالية التي ظهرت في أواخر القرن الماضي لم تكن بالحقيقة سوى منظمات عابرة ووقتية ، فان تاريخ الحركة العمالية اليهودية في فلسطين لا يبدأ فعلا الا مع وصول « الرواد الاوائل » من مجموعة « هومل » (HOMEL) الذين فتحوا ، بوصولهم الى فلسطين في كانون الثاني ١٩٠٤ ، عهدا جديدا في تاريخ الاستيطان الصهيوني عرف تحت اسم الموجة الثانية من الهجرة ، التي انطلقت من روسيا القيصرية في ظل ظروف خاصة تميزت بالحرب الروسية ـ اليابانية ، وبالثورة الروسية الاولى ، وباندلاع موجة جديدة من معاداة السامية ترافقت مع مذابح همجية نظمتها